

المال والثروة



وأما الثروة، فهي الكثير من المال، ويُراد بها في المفهوم الاقتصاديّ كل ما يرضي حاجة الانسان أو رغبته من الأموال القابلة للتملُّك والتقويم. ولقد حفل الكتاب الكريم بآيات المال والثروة بالنظر لأهمية هذه القضية التي شغلت الانسان أيّما إشغال لما ورد في القرآن من أنّ الانسان يحبّ المال حبّاً جمّاً (وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْوَلاً لَمّاً * وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً) (الفجر/ 20-19)، وقوله تعالى: (وَإِنَّهُمْ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدُونَ) (العاديات/ 8)، فلنعرض لمنظور القرآن للمال أوّلاً، ثمّ لنستلّ منه الرؤية القرآنية لأهم قضية احتلّت وما تزال تحتل الاهتمام الأوّل عند الغالبية العظمى من الناس.

1- المال.. مال الله تعالى:

قال سبحانه (وَأَتَوْهُمْ مِنْ مِّمَالِ الْذِّي آتَاكُمُ) (الذّور/ 33).

2- المال.. إستخلاق الانسان فيه :

قال عز وجل : (وَأَنْزَفْنَاهُ سَائِجًا جَلَلًا كُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْزَفْنَاهُ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) (الحديد / 7).

مُسْتَخْلَفِينَ: أي وكلاء في إجرائه وتوظيفه وإنفاقه في المصارف السليمة التي ذكرها ﷻ لكم في كتابه.

3- المال.. زينة :

قال جلّ جلاله : (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا) (الكهف / 46).

والزينة كلُّ ما يُتزيّن به من ملابس وحُلِيٍّ وغيرها، وقيل هي كلُّ ما يفاخر به الانسان في الدنيا من مال وأثاث وجاه.

4- المال.. موضع ابتلاء :

قال تعالى : (وَلَنْبَلِّغُوا نَصْرَكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْمِهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) (البقرة / 155).

5- المال.. لا يُغني عن الدين والإيمان :

قال سبحانه: (إِنَّ السَّادِّينَ كَفَرُوا لَن تَغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنْ آفَ شَيْءٍ) (آل عمران/ 10).

6- المال.. الإنشغال به عن ذكر الله:

قال عز وجل: (وَلَا ذَا رَأَوْا تَجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) (الجمعة/ 11).

وقال جل وعلا: (يَا أَيُّهَا السَّادِّينَ آمِنُوا لَا تُلَهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (المنافقون/ 9).

7- المال.. النهي عن إنفاقه رياءً:

قال تبارك وتعالى: (يَا أَيُّهَا السَّادِّينَ آمِنُوا لَا تَبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنَ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَا تِلْكَ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ عِلَالٌ تِرابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَمَرَكَّهُ صَلْدًا لَا يَنْقُدرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) (البقرة/ 264).

8- المال.. الأمر بإنفاقه في وجوه الخير:

قال جل جلاله: (وَلَا تَكِنَنَّ الْبِرَّ مَنَ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآلِهَتَاكُمْ) (النبي/ 1) والآية 2: (وَلَا تَكِنَنَّ الْبِرَّ مَنَ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآلِهَتَاكُمْ) (النبي/ 1).

وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ (البقرة / 177).

ومن وجوه الخير إنفاقه في الجهاد في سبيل الله، وإنشاء مشاريع خيرية، وتسييله في مجرى الاقتصاد وعدم احتكاره وتجميده في أرصدة بنكية لينتفع به التاجر والثري والعامل الفقير، قال عز وجل: (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذِّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) (التوبة / 34).

9- المال.. النهي عن الدخول به:

قال تعالى: (الَّذِينَ يَدْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْخُلُوعِ وَيَكْنُتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدُوا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا) (النساء / 37).

10- المال.. تحريم أكله بالباطل (الرشوة):

قال عز وجل في الرشوة: (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمُ بَيِّنَاتٍ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِيَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (البقرة / 188).

وقال سبحانه وتعالى في الاستيلاء على أموال اليتامى: (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنْ زَمَّ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا) (النساء / 10).

11- المال.. النهي عن المراهبة به:

قال عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتِغُوا فَلَاحُكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ) (البقرة/ 279-278).

12- المال.. النهي عن الإعجاب بثراء الأثرياء:

قال تعالى: (وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِن زَّهَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهِمَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ) (التوبة/ 85).

13- المال.. النهي عن التفاخر به:

قال عز وجل عن صاحب الجنة (البستان): (وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا) (الكهف/ 34).

وقال سبحانه: (اعْلَمُوا أَن زَهَّمَا الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيَ فَتَذَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا) (الحديد/ 20).

وقال جل جلاله على لسان قارون الذي زعم أن ما لديه من أموال طائلة وثروة هائلة هي من عنده، ونتيجة لجهده وذكائه وليس من عند الله تعالى وفصله: (قَالَ إِن زَهَّمَا أُوتِيتُهُ عِلْمٌ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمْ أَلَمْ يُجْرِمُونَ) (القصص/ 78).

قال تبارك وتعالى عن أهل مدين: (قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَذْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ) (هود/ 87)؛ لكنه لا يجوز للسفيه الذي لا يحسن التصرف بأمواله أن يترك يُبذّر ويهدر ويتلف أمواله، بل يجب حصر المال ومنعه عنه: (وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا) (النساء/ 5)، أي إن الذي يتصرف بماله وينفق منه عليه العاقل من ذويه.

قال عز وجل: (وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) (الذاريات/ 19).

والسائل المستعطي أو المستجدي، والمحروم هو الفقير المعدم.

وقال جل وعلا: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) (التوبة/ 103).

من هذا الاستدلال القرآني يمكن أن نخلص إلى الآتي من النتائج القيمة المترتبة على أهمية المال في حياتنا:

1- المال رزق، والرزق يجب أن يسعى إلى كسبه بالطرق المشروعة (الحلال) لا بالاستغلال (وأن لا ييسر للإفساد نسيان إسلام ما سعى) (النجم/ 39)، ولذلك نهى القرآن إلى أن الكذب والغش والتدليس والاختلاس والسرقة والتزوير ليسوا من الرزق في شيء، قال تعالى: (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْزَلََكُمْ تُكَذِّبُونَ) (الواقعة/ 82).

مثلما حذر تحذيراً شديداً اللهجة من السرقة حتى أنه جعل عقوبة السارق - ضمن شروط معينة - قطع يده اليمنى من الأصابع كيلا يعاود السرقة، ولكي يكون عبرة لمن يعتبر، قال عز وجل: (وَالسَّارِقُ

وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا (المائدة / 38)، ويقول صاحب (الطريق إلى السعادة):
"الإنسان الذي يعجز لسبب أو لآخر عن الحصول على الأموال والأموال بصورة شرعية، يمكنه أن يدعي أن
الأشياء ليست مُلكاً لأحد؛ ولكن جرّب أن تسرق حذاءه وانظر ماذا سيفعل؟ إنَّ اللصَّ يملأ الجوَّ حوله
بالغموض، فالكلَّ يبدأ بالتساؤل: أين اختفى هذا؟ وأين اختفى ذاك؟ إنَّه يُسبِّب من المتاعب
والمشاكل أكثر بكثير من قيمة ما يسرقه".

"إنَّه - والقول ما يزال لـ(ل. رون هابرد) - يتخيَّل أنَّ سرقتها تجعله يحصل على شيء قيِّم بتكلفة
زهيدة، وهذه هي المشكلة الأساسية: التكلفة! والحقيقة أنَّ السعر الفعلي الذي يدفعه السارق سوف يكون
أعلى بكثير مما يعتقد، فأكثر اللصوص في التاريخ قد دفعوا ثمناً باهضاً لغنائمهم، ذلك بقضاء
حياتهم في المخابئ البائسة أو السجون، ولا يحطون إلاَّ بلحظات نادرة فقط من الحياة المرفهة، إلاَّ
أنَّه ليس هناك شيء في الحياة، مهما كان ثميناً، يمكن أن يُعوَّض قضاء العمر خلف القضبان، كما أنَّ
قيمة المواد المسروقة تتناقص بشكل سريع، لأنَّ المسروقات يجب أن تُخفى عن العيون، كما أنَّها
تُشكَّل في حدِّ ذاتها تهديداً لحرِّيَّة السارق نفسه"[1].. ولأنَّه لم يتعب في اقتنائها، فإنَّه أزهَّد
الناس بقيمتها، لذلك يبيعها أحياناً بأتفه الأسعار!

2- المال بكلِّ مفرداته من بناء الثروة، والحصول على المقتنيات، والعيش برفاهية، محبوب بشري،
لقوله تعالى: (وَإِنَّهُمْ لَحَبِيبٌ إِلَهُكُمْ لَشَدِيدُونَ) (العاديات / 8)، وقوله سبحانه:
(وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا) (الفجر / 20)، والسعي لاكتسابه بالطرق المشروعة مطلوب:
(فَامْشُوا فِي مَدَائِكِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) (الملك / 15)، وقال
سبحانه: (وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ) (الرَّحْمَن / 10)، أي مُسخَّرة للناس، وليست المشكلة في
أن يُنمِّي الإنسان ثروته، وإنما هي في إغفال الخسائر التي يتكبَّدها من أجل ذلك، عندما يكون
جمعُ المال غايةً بذاته، وعندما يصرف الإنسان عن تحصيل رصيده الثقافيِّ والمعرفيِّ والاجتماعيِّ
والأخرويِّ، وعندما يمنع ماله من السيولة والتداول، وعندما يجمع لغيره تتكوَّن عليه التبعة
وللمستمتع بتركته المهندي، يقول الإمام علي (ع): "مَنْ رَزَقَهُ مَالاً وَجَمَالاً فَعَفَّ فِي جَمَالِهِ، وَوَأَسَى
فِي مَالِهِ، كُتِبَ فِي دِيوانِ الْأَبْرار"[2]، وقد يكون حبُّ المال من الآخرة إنَّه وطَّاف في الإنفاق على الذات
والأهل والأقارب والمحتاجين، وبُذِل في الأعمال الخيريَّة، بل حتى في بناء المشاريع النافعة التي تدرِّس
على صاحبها ربحاً، وتُمكن من الكثير من العُمَّال أن يسعدوا بسعة نعمته فيتنعَّموا بها بما يتاح
لهم من فرص العمل والتشغيل.

وقد ورد في المرويات عن الإمام علي (ع): "أفضل الأموال أحسنها أثراً عليك"[3].. وإذا كان بعض الناس

يقول بأنّ المال هو جواز سفر عالمي يسمح لحامله الذهاب إلى كلّ البلاد خلا السماء، وهو يجلب كلّ شيء خلا السعادة، فإنّنا نقول: نعم، يُسمح له بالدخول إلى السماء أيضاً إذا وُطِّف في تنمية الحياة، وإعانة المحرومين، بل ويجلب السعادة للسبب نفسه!

إنّ الذي جعلنا وكلاء مستخلفين بالمال والثروة والمواهب والممتلكات، وهو الله تعالى، هو نفسه الذي جعل جزءاً مما نملكه حقاً للسائل والمحروم، ولذلك ضرب لنا مثلاً في قصة أصحاب الجنة (البستان)، والآيات من سورة (الفلم) وافية شافية في تصوير قصّة البخل وحرمان المساكين من حقوقهما التي افترضها الله تعالى في أموال الأغنياء.. تأمّل!

(إِنْ نَزَّلْنَا بَلَاءَ نَآهِمُ كَمَا بَلَّآؤُنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلَا يَسْتَثْنُونَ * فَطَافَ عَلَيْهِمْ طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ * فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ * أَنْ اغْدُوا عَلَيَّ حَرْثِكُمْ * إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَذَفَتُونَ * أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ * وَغَدَوْا عَلَيَّ حَرْدٍ فَادْرَيْنَ * فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا نَارٌ سَاكِتَةٌ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ لَا تُسَبِّحُونَ * قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ هِيَ إِلَّا نَارٌ كُنَّا طَالِمِينَ * فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَيَّ بَعْضٌ يَتَلََوُمُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنْ هِيَ إِلَّا نَارٌ طَاغِيَةٌ * عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنْ هِيَ إِلَّا نَارٌ فَلْيُفْئِكُمْ وَرَاغِبُونَ * كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَـعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) (الفلم/ 33-17).

قرّروا وبيّنوا أن يمنعوا المساكين حقوقهم فحرمهم الله من نعمة البستان كلّها، وهو قادر على أن يطمس الأموال والثروات ويخسف بها الأرض كما فعل بـ(قارون)، وفي الأمثال الفارسية مثل طريف لعلّه مستوحى من جوّ القصّة القرآنية: "في زمن الغلال يُصابُ البستانيُّ بالعمى" [4].

3- قدّسَ الله تعالى للناس أرزاقهم، وقد يؤسّس وقد يُضيّق لحكمة، وقد يكون ذلك نتيجة لسعي الإنسان وتحصيله.. أمّا أن تمتد يد الغني للاستيلاء على رزق الفقير إمّا بسبب سطوته وسلطته وقدرته على استضعافه، وإمّا لرغبته بزيادة ما عنده من ثروة ليزداد غنى على غنى وإن جرّد الفقير من القليل الذي عنده، وتلك هي قصّة الاقتصاد العالمي بين دول الشمال الغنيّة المستكبرة والمسيطرة على ثروات الشعوب في العالمين الثاني والثالث، وقصّة هذه المكبّلة بديونها التي لا تتمتّع إلا بالفتات من ثرواتها، والقرآن يضرب لنا مثلاً عن ذلك في قصّة الأخوين صاحبي النعاج اللذين جاء داود

(ع) يحتكمان لديه في فض منازعة الغني صاحب النعاج الـ(99) مع أخيه الفقير صاحب الـ(نعجة الواحدة)، إذ حاول إجباره على التنازل له عن نعجته لتصبح نعاجه مئة كاملة، ولم يُفكّر في أن يعط تسع نعاج لأخيه لتصبح نعاجه عشرة كاملة، بل ولم يُفكّر في أن يعطيه نعجة واحدة لتصبح لديه نعجتان.. لاحظ استكبار النفوذ وسطوة الثراء وطغيان الجشع.. تأمل النصّ القرآني المُفصّل عن هذه (الواقعة) التي لها نظائر كثيرة في (الواقع): (وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعُوضُنَا عَلَى بَعُوضٍ فَوَاحُكُمُ بِبَيِّنَاتٍ بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطُوا وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ * إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةً وَاحِدَةً فَقَالَ أَكْثِلُنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ * قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعُوضُهُمْ عَلَى بَعُوضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ) (ص/ 21-24).. ولو درسنا ظاهرة الاستكبار دراسة اجتماعية لرأينا أن منشأها الاستغلال.

والمفارقة الغربية أن صاحب النعاج الـ(99) - كما في إحياء النصّ - يرى أن من حقه الاستيلاء على النعجة الواحدة لاستكمال ثروته الناقصة، للمخاطبة بلغة الجمع (فَوَاحُكُمُ بِبَيِّنَاتٍ بِالْحَقِّ)، وكأن من حقّ الحكومات المستكبرة ودول الشمال أن تعيش في ثراء، وإن من نصيب دول الجنوب أن تعيش البؤس والفقر والحرمان!!

والشيء نفسه يُقال عن تنمية ثروة المرابي عندما يشترط على المدين أن يقرضه قرضاً بزيادة، في حين يقول الله تعالى: (يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيدُ بِالْمَسْكَاتِ) (البقرة/ 276).. واستيحاء من ذلك، ورد عن الإمام علي (ع) قوله: "ما جاع فقير إلا بما مُتّبع به غني" [5]، ودُكي أن امرأة عجوز ضعيفة كانت جارااً لغني ذي سلطة بنى داراً واسعة إلى جوار دارها الصغيرة، ولمّا أراد أن يخص من مساحة البيت الواسعة للحديقة، فكّر في ضمّ حديقة جارتها العجوز إلى حديقته لتتسع، فلمّا طالبها بذلك وعرفت أن ليس بإمكانها أن ترفض لسلطوته وجاهه، سألته أن ينقل له كيساً مملوءاً من تراب حديقته لتحتفظ به كذكرى، ولمّا ملأ الكيس وأراد حمله إلى بيتها عجز عن حمله، فقالت له: إذا كنت عاجزاً اليوم عن حمل كيس من تراب الحديقة، فكيف تستطيع غداً أن تحمل الحديقة كلها؟! وقصة العجوز الفقيرة مع الغني المتسلّط هي قصة الحياة وصراع الفقراء مع الأغنياء.

4- المال للسيولة والتداول والحركة والتبادل التجاري وتنشيط الفعاليات الاقتصادية، وليس من حق إنسان أن يحجب ثروته عن التداول أو يحتكرها أو يُجمّعها لأنّه بذلك يُضيّق أحد سبل النشاط

التجاري أو المالي أو الاقتصادي، والله تعالى ينهى عن تجميد الثروة واكتنازها، قال تعالى: (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذِّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبِشْرُوهُمْ بَعْدَابٍ أَلَيْمٌ) (التوبة/ 34)، وقال جلّ جلاله: (مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِللَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (الحشر/ 7)، وفي الأمثال اللاتينية: "من الحماقة أن تدخّر، إذا كنت تجهل لمن تدخّر" [6].

5- المال بحد ذاته ليس قيمة تفاضلية أو معيارية، وشواهد القرآن وقصصه في ذلك كثيرة، تأمل في معاني وأبعاد أقواله تعالى في اعتبار الغنى سبباً للخلود: (يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ * كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ) (الهمزة/ 3-4).

وعن ثروة أبي لهب المسخرة لمحاربة النبي (ص): (مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ) (المسد/ 2).

وفي عجز المال عن دفع الموت: (مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ * هَلَّاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ) (الحاقة/ 28-29).

وفي تصور أن اتساع الثروة يعني اتساع الخطوة عند الله: (وَلَا يَحْسَبِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّئُهُمْ خَيْرٌ لَّا نَفْسِيهِمْ إِنَّنَا نُمَلِّئُهُمْ لِيَبْزُدَ آدَاؤُهُمْ * وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) (آل عمران/ 178).

وفي قصة الظالم لنفسه صاحب الجنّتين (البساتين) والفقير المؤمن، درس قرآني في التفريق بين ما هو (قيمة) بذاته، وما هو ليس بقيمة في ذاته، يقول تعالى: (وَاصْرَفْ لَهُم مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ لِيَنْجَلِي لَهُمْ مَالُهُمْ لِيَنْجَلِيَهُمْ مَّا كَانَتْ أَكْثَرُ مَالِهِمْ) (البقرة/ 245). وفي قصة الذين آمنوا وهاجروا مع نبيهم، يقول تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا مَعَهُ وَاسْتَفْتَوْهُ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لَنَا أَن نَدْخُلَكَ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنفِثُ بِهِمْ فَانفِثْ بِهِمْ وَأَنزِلْ لَنَا مِن سَمَاءٍ مَّاءً طَيِّبًا) (الأنعام/ 118).

رُودِدْتُ إِلَى رَبِّي لِأَجْدَنْ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا * قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا * لَكِنَّا هُوَ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَوْ لَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ إِنْ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنْزَلْنَا أَقْلًا مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا * فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُوَفِّيَنَّ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَيَكْصِفَ مَا تَحْتَضِرُ وَتَذْكُرُ * أَوْ يُمْسِجَ مَا نُفِثَ وَتَكُونُ مِنَ الْغَوْرَةِ فَمَا يَتَّخِذُكَ إِلَّا أَزْفَقًا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (الكهف/ 42-32)، ومن هنا ورد في الحديث الشريف: "مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَغْنَى النَّاسِ، فَلْيَكُنْ بِمَا فِي يَدِهِ أَوْثَقُ مِنْهُ بِمَا فِي يَدِهِ" [7].

المال إذاً لا يشتري السعادة، ولا الصحة، ولا السكينة، ولا الأصدقاء الحقيقيين؛ لكنه وسيلة من الوسائل العديدة لتحقيق ذلك، ويوصي لقمان الحكيم ولده فيقول له: "يا بُنَيَّ، عليك بطلب العلم، وجمع المال، فإنَّ الناس طائفتان: خاصَّة وعامَّة، فالخاصَّة تكرمك للعلم، والعامَّة تكرمك للمال. يا بُنَيَّ، شيئان إذا أنت حفظتهما لا تبالي بما صنعت بعدهما: دينك لمعادك، ودرهمك لمعاشك" [8].

[1] - الطريق إلى السعادة، ل. رون هاربر، ص91-92.

[2] - جواهر العقول، وصال حمقة، ص571.

[3] - جواهر العقول، مصدر سابق، ص574.

[4] - جواهر العقول، ص574.

[5] - جواهر العقول، ص575.

[6] - المصدر نفسه، ص571.

[7] - جواهر العقول، ص577.

[8] - المصدر نفسه، ص571.